بريد الجمعة
أثر
المعارف الرقمية

بريد الجمعة
الجمعة ١٦ يوليو ١٩٩٩

يكتبه: عبد الوهاب مطاوع

النقطة السوداء!

انا زوجة رجل معروف وله مكانته في المجتمع وسمعته الطيبة وتدينه الشهود له به، وقد رزقنا الله سبحانه وتعالى بالبنين والبنات ومضت رحلة العمر بخيرها وشرها وكبر الأبناء وتزوجوا، وأصبح لنا الآن ٤ احفاد نسعد بهم ونشعر بامتدادنا فيهم.. ولقد تغير كل شيء تقريبا في الحياة منذ تزوجت قبل ثلاثين عاما إلا شيئا واحدا لم يتغير في زوجي وهو النقطة السوداء الوحيدة في شخصيته والتي لم أجد لها دواء ولا شفاء حتى الآن، فمنذ سنوات زواجنا الأولى اكتشفت فيه أسوأ مايمكن أن يبتلى به إنسان من مرض، وهو داء الخيانة مع الشغالات، وحين اكتشفت ذلك أصررت على الطلاق أكثر من مرة، وفي كل مرة كان يستعطفني ان أصفح عنه وأتجاوز عما حدث ويعتذر عنه بأنه لم يكن في وعيه أو بأنه من طيش الشباب الخ.. وكنت أصفح في النهاية وأصير من أجل أطفالي، وبعد وفاة أبي ووفاة والدي زوجي اللذين كنت أشكو لهما مما يفعل بي زوجي ويخففان عني، سلمت بأن هذا هو قدري في الحياة واتجهت لربي وتركت عملي وتفرغت لتربية أبنائي والعناية بزوجي وكنت امرأة شديدة الجمال والاناقة وربة بيت من الطراز الأول وأما تحنو على أبنائها وزوجة لاتحتمل أي شيء يمس أسرتها، كما حرصت على ان أفعل كل شيء يرضي زوجي، وان اشبع رغباته هو وأكبت رغباتي، فأفاجأ بعد كل ذلك بالشغالة التي تعمل عندي تجيء إلي وترجوني ألا اتركها في البيت وحدها مع زوجي في أي وقت من الأوقات لأنه يفعل أشياء لايرضى عنها الله! فأكاد حين اسمع ذلك أصرخ، وأسأل نفسي ماذا يدعوه إلى مطاردة الشغالات صغيرات السن، وأنا أقدم له كل مايطلبه الرجل من امرأة، ثم أضطر في النهاية إلى الاستغناء عن خدمات هذه الشغالة وقطع رزقها، وتعويضها ماديا عن ذلك، ومع تكرار هذه النقطة السوداء ماتت بداخلي أشياء كثيرة كالغيرة والكرامة الشخصية والثقة بالنفس، وأصبح كل مايشغلني الآن هو حسن الختام، وأتساءل بإشفاق كيف سيواجه زوجي ربه بكل هذه الخطايا وهو الذي يؤدي الفرائض الدينية في أوقاتها، ويحج ويعتمر ويبكي من قلبه في العمرة، ثم يرجع بعد ذلك إلى هذه الأفعال المخزية؟!

ان زوجي بالرغم مما بلغ من العمر والمكانة مازال يطارد كل شغالة تعمل عندي، ولا ينوع عن مغازلة صديقاتي وزميلاتي في العمل، ومعظمهن صغيرات السن حتى أنه لم يدع فتاة عمرها ١٥ سنة بدون أن يتحرش بها ويغازلها، ولقد لجأت إلى الطبيب النفسي منذ عدة سنوات وشكوت له مما أعانيه، فطلب أن يلتقي بزوجي ويتحدث معه، وعرضت ذلك عليه فرفض باصرار الذهاب معي إلى الطبيب واستاء كثيرا لمجرد تفكيري في ذلك.

والآن ياسيدي وبعد أن تزوج الأبناء واستقروا في بيوتهم الصغيرة لم أعد قادرة على مواصلة التحمل والصبر على أفعال زوجي هذه، انني مازلت ربة البيت التي لايأكل زوجها إلا من صنع يديها، والزوجة المحجبة خارج البيت والتي تهتم بنفسها وزينتها داخله، وتدعو لزوجها بالهداية في كل صلاة، لكنني فقدت آخر قطرة من قدرتي على الصبر والاحتمال بعد آخر حادث مخجل لزوجي مع آخر شغالة عملت عندي، وكان ذلك منذ بضعة أسابيع فقط، فقد جاءتني الفتاة الصغيرة باكيا وقد جمعت أشياءها لتستأذنني في الرحيل بسبب ماتعرضت له من مضايقات من جانب زوجي، وبسبب تحرشه بها في كل مرة تقدم إليه فيها شيئا، ولقد أثار أحزاني، أنني وجدت هذه الفتاة الصغيرة تشعر بالاشفاق علي ولا تصدق مايحدث وتقول لي انني لاأستحق ذلك من زوجي.. وهذا فاض بي الكيل نهائيا وفكرت جديا في طلب الطلاق لأن أبنائي قد كبروا الآن ولم يعد لدي مايدعوني للاحتمال من أجلهم، لكني تحيرت فيما سأقوله للأبناء عن سبب طلبي للطلاق وتمسكي به وأنا ووالدهم في هذه المرحلة من العمر.. انني لم أخبر زوجي حتى الآن بعلمي بواقعته الأخيرة مع الشغالة الصغيرة، وأفكر جديا في هجر البيت أو طلب الطلاق والاصرار عليه.. فيماذا تنصحني أن أفعل بعد أن تكاثرت علي الآلام الجسدية في الظهر والساق والذراع، وارتفع ضغطي بسبب ما أعانيه من هذه الأفعال المخزية؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الهوس بالفتيات صغيرات السن ومطاردة الشغالات، نوع من الانحراف النفسي المؤكد الذي يستعصي على العلاج بالجهود الشخصية، ويتطلب علاجا نفسيا منتظما، وإلا تفاقمت أخطاره وعرض صاحبه للوقوع ذات يوم تحت طائلة القانون متهما بارتكاب جريمة الاعتداء على قاصر أو التحرش بها.. غير أن الغالبية العظمى من يعانون هذا الانحراف النفسي هي أنهم يجدون صعوبة شديدة في الاعتراف لأنفسهم بأنهم مرضى ويحتاجون للعلاج، ويفضلون دائما التهرب من مواجهة هذه الحقيقة، والتماس الأعذار المختلفة لأنفسهم في كل مرة يفتضح فيها أمرهم، كما أن الآخرين قد يجدون أيضا صعوبة مماثلة في تصديق صدور هذه الأفعال المخزية عنهم، لتناقضها الشديد بين المظهر الوقور لهم وحقيقة مايصدر عنهم في الخفاء من تصرفات مخجلة. ولهذا فإنني أرى لك أن تواجهي زوجك بما علمت عن واقعته الأخيرة مع الشغالة الصغيرة، وأن تخيريه بحزم نهائي هذه المرة بين الرضوخ للحقيقة والاعتراف بحاجته إلى العلاج النفسي، والانفصال عنه، مع مأسوف يترتب عليه من آثار عائلية وخيمة، وازعاج للأبناء وإثارة للتساؤلات المؤلمة في الأوساط العائلية المحيطة بكم.. وان كنت أتعجب ياسيدتي معا كان يدعوك للاستعانة دائما بهؤلاء الشغالات الصغيرات في بيتك، وقد علمت عن زوجك منذ زمن طويل ضعفه المخزي مع الفتيات، وتحرشه بهن ومطاردته لهن.. ان كثيرات من الزوجات اللاتي عرفن عن أزواجهن مثل هذا الضعف الأخلاقي وهذا الميل المنحرف للتحرش بالصغيرات، قد حرمن بيوتهن. كاجراء وقائي. على مثيلات هؤلاء الفتيات، وتكبدن في سبيل ذلك العناء راضيات به، بدلا من اتاحة الفرص لأزواجهن للاستجابة لهذا الهوس الذي قد يصل ببعضهم إلى مايسميه علماء النفس «الرغبة القهرية» في ممارسة مايعرفون جيدا أنه يتناقض مع كل القيم والأخلاقيات ومع حرصهم على سمعتهم ومكانتهم العائلية بين الأبناء وفي المجتمع. انني أعرف أن ذلك ليس حلا جذريا للمشكلة، لكنه كان خطوة على الأقل لتضييق فرص الخطأ امام زوجك، ولتفادي اسباب المشاكل التي عانيت منها الكثير والكثير.

ولقد قلت مرارا ان الوسيلة الوحيدة للمتعاملين مع الأزواج الذين يدمنون الاستجابة لنزواتهم وأهوائهم، اذا دعت الضرورة الزوجة إلى الحفاظ على حياتها الزوجية بسبب مصلحة الأبناء والاعتبارات الأخرى، هي أن تحاول الزوجة بقدر الإمكان تضييق فرص الخطأ امام زوجها، وان تنصرف بعد ذلك إلى العناية بابنائها واسرتها ونفسها، محاولة حماية معنوياتها وحالتها النفسية من التأثر بهذه الخيانات المخجلة.. ولا غرابة في ذلك لأن الخطأ انما يعيب مرتكبه أولا وأخيرا، وليس ضحيته، ولأن مايستعصي على العلاج قد يكون من الصحة النفسية في بعض الأحيان الا يدمي الإنسان رأسه بنطح الصخر محاولا علاجه، مع التمسك بالأمل في ان يعالج الزمن ماعجز هو عن علاجه، وفي أن يثوب المخطيء إلى رشده ذات يوم ويدرك كم أدمى قلوب من أحبوه وأخلصوا له بمثل هذا العبث الطائش.. ان الخيانة شيء مؤلم للنفس حقا ياسيدتي.. وهي تصبح أكثر إيلاما حين تجيء في سن الجلال والاحترام ويلا أي مبرر سوى الاستجابة لأهواء النفس ونزواتها وبحثها العابث عن المتعة العابرة.. فقولي لزوجك ياسيدتي كل ذلك، وحاولي ازالة الغشاوة عن عينيه ليرى فداحة الجرم الذي يرتكبه في حق ربه ونفسه وزوجته وابنائه بمثل هذا العبث الصبياني، وذكريه بواجباته تجاه ابنائه في ألا يحرجهم وهم أزواج وزوجات بمثل هذه الخطايا الفاضحة التي قد تنفجر في وجوههم وتحرج مراكزهم العائلية ذات يوم قريب. واحمليه على الاعتراف بانه يعاني من انحراف نفسي قابل للعلاج اذا تعامل معه بجدية، والتمس له اسباب الشفاء لدى الطبيب المختص، أما الانفصال الآن أو هجر البيت بعد كل هذه السنين وبعد أن بلغت السفينة مرفأ الأمان، فلسوف يؤلم ابناءك بأكثر مما تحتمل شخصيتك المضحية التي تحملت عناء الرحلة الطويلة من أجلهم، كما انه ليس من العدل ولا من الرحمة أن تضطرب حياتك وانت في هذه المرحلة من العمر وبعد كل ما قدمت للحياة والأبناء والزوج بسبب هذا الطيش الجنوني من زوجك، وانما يقضي العدل أن يعفيك هو من كل ذلك، وأن يثوب إلى رشده وربه ويعوضك عن شقاء السنين بما يشعرك بالكرامة والسعادة والأمان.